المفردة القرآنيّة

بين دقائق الرّسم ولطائف المعاني[1]

بقلم : الباحث بلقنيشي علي إشراف أ . د , عرابي أحمد

ملخّص البحث:

لقد جاء هذا البحث محاولة للوقوف على بعض ما ذهب إليه المنجزان التّراثيّ والحداثيّ في سعيهما للكشف عن المسوّغات الفنيّة والمعنويّة لظواهر الرّسم القرآنيّ التي كتبت بين يدي الخليفة ذي النّورين عثمان بن عفّان، وبمحضر من أجلاّء الصّحابة رضوان الله عليهم جميعا، وهذه الظّواهر الكتابيّة لا تخلو من إشراقات دلاليّة محكومة باعتبارات سياقيّة تمنحها خصوصيتها الدّلاليّة، تشدّ انتباه قارئها وتدعوه بإلحاح للتّأمّل والبحث عن الأسرار التي تقف وراء تلك الهيئات الكتابيّة.

الكلمات المفتاحيّة: الرّسم القرآني، الظّواهر الكتابيّة، الأبعاد الدّلاليّة.

Abstract :

This research comes as a trial to stand upon some of what the two achievements went for; the inherited and the modern in their attempts to discovering the artistic and moral justifications to the phenomena of the Coranic Scripts in the era of the Caliph Othman Ibn Affane and the Prophet's (PBUH) companions (ABUT). These scripted phenomena are rich of shining significations guided by contextual criteria which afford them its semantic specificity. These latter attract the its reader and incite him/her to contemplate and research its secrets that stand behind those written states.

Key words: Coranic Script - Written Phenomena - The semantic Dimensions.

[1] ـ تاريخ الايداع : 2017-10-04 تاريخ الموافقة : 2017-10-19

مقدّمة:

من المسلّم به أنّ القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، وحجّته البالغة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنّ المفردة القرآنيّة شكّلت بنائيّة متميّزة في رسمها؛ بمخالفتها لما ألفه المتعلّم من قواعد الخطّ العربيّ وإملائه، ومتميّزة أيضا في معناها الفنّي المقصود الذي لا يستقيم إلاّ بوجود هذه المفردة أو تلك، فتأتي وقد تلوّنت بألوان دلاليّة هائلة، وأنّ هذه الألوان تتحدّد دلالتها من السّياق الذي تنتظم فيه، وقد وقف العلماء والباحثون من ظواهر الرّسم القرآنيّ مواقف مختلفة، تعدّدت فيها اتّجاهاتهم وتباينت رؤاهم، ممّا جعلهم يلتمسون لتلك الظّواهر الكتابيّة تخريجات تتّكئ على دراسة تاريخيّة، أو لغويّة، أو صوتيّة، أو دلاليّة ...

معنى الرّسم:

الرّسم في اللّغة:

يطلق الرّسم في اللّغة على "الأثر، وقيل: بقيّة الأثر، وقيل: هو ما ليس له شخص من الآثار وقيل: هو ما لصق بالأرض منه... والجمع أرسم ورسوم، ورسم الغيث الدّار: عفّاها وأبقى فيها أثرا لاصقا بالأرض"[1].

والذي يبدو من تعريف ابن منظور (ت:711ه) أنّه لا يقيم علاقة بين الرّسم والخطّ، بل يقصره على الأثر أو بقيّة أثر معالمه، "وربّما كان استعمال الرّسم للدّلالة على خطّ المصحف إشارة إلى معنى الأثر الذي يحرص المسلمون على المحافظة عليه، فظهر مصطلح (مرسوم الخطّ)، و (مرسوم خطوط المصاحف)، و (الرّسم)" [2].

الرّسم في الاصطلاح:

عرّفه صاحب (مناهل العرفان) بأنّه: "الوضع الذي ارتضاه عثمان – رضي الله عنه – في كتابة كلمات القرآن، وحروفه، والأصل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للمنطوق من غير

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور، مادّة (رسم)، ج5، ص:215.

[2]- رسم المصحف دراسة لغويّة تاريخيّة، غانم قدّوري الحمد، هامش ص: 129.

زيادة ولا نقص، ولا تبديل و لا تغيير، لكنّ المصاحف العثمانيّة قد أهمل فيها هذا الأصل، فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق، وذلك لأغراض شريفة"[1].

وقيل: "هو الرّسم المخصوص الذي كتبت به حروف القرآن، وكلماته أثناء كتابة القرآن الكريم، في جميع مراحله الكتابيّة التي كان آخرها كتابته في عهد عثمان – رضي الله عنه –"[2]، الذي ارتضاه وأجمع عليه الصّحابة –رضوان الله تعالى عنهم-.

والذي يسجّله البحث من خلال هذين التّعريفين أنّهما يجمعان على أنّ للمصحف العثمانيّ طريقة خاصّة، وفلسفة مميّزة في الكتابة تخالف أصول الإملاء العربيّ القياسيّ؛ بحيث تكتب الكلمات بطريقة لا تتّفق مع التّنظير الإملائيّ للكتابة العربيّة، من حيث عدد الحروف ونوعها، وكذلك العروضيّة المعروفة في الشّعر.

والمتصفّح للقرآن الكريم يجد أنّ هناك مفردات احتفظت برسم واحد على مدار الكتابة المصحفيّة، ولم تخرج عنه متّفقة بذلك مع الرّسم القياسيّ، وبعضها خالفت قواعد الإملاء العربيّ فجاءت على هيئة كتابيّة خاصّة، مثل: (ٱلصَّلَوٰة، بِأَيۡيۡد، جِاْىَء، عُلَمَـٰٓؤُا...) لتومئ في هدي السّياقات التي وردت فيها إلى معان لطيفة، ونكات بلاغيّة، وأسرار دلاليّة، استنبطها العلماء والباحثون، وهو ما سيروم البحث تبيانه ودراسته.

قواعده:

ذكر علماء رسم المصحف الشّريف قواعد ست، هي: الحذف، والزّيادة، والهمز، والبدل، والوصل والفصل، وما فيه قراءتان متواترتان[3]، و يمكن توضيح ذلك عبر المخطّط التّالي:

---

[1]- مناهل العرفان في علوم القرآن، الزّرقاني، ج1، ص:300.

[2]- رسم المصحف ونقطه، الفرماوي، ص:166، وينظر: رسم المصحف دراسة لغويّة تاريخيّة، ص:128، 129.

[3]- ينظر: رسم المصحف و ضبطه، شعبان محمّد إسماعيل، ص:42 وما بعدها، الدرّة الصّقيلة في شرح أبيات العقيلة، اللّبيب أبي بكر ص: 19 وما بعدها، والإتقان في علوم القرآن، السّيوطي، ج4، ص: 147 وما بعدها.

قواعد الرّسم العثمانيّ

قاعدة الحذف	قاعدة الزّيادة	قاعدة البدل
- حذف الإشارة: وَعَدْنَا ،أُسَرَىٰ - حذف الاختصار: سَمَّعُون، ٱلْعَٰلَمِينَ - حذف الاقتصار: ٱلْمِيعَد، ٱلْمِيعَاد	- زيادة الألف: لَأَاْذْبَحَنَّهُ، - زيادة الواو: أُوْلُوا - زيادة الياء:بِأَيْيدِ	- إبدال الياء والواو من الألف: بُشْرَىٰكُمُ، ٱلصَّلَوٰة - إبدال النون ألفا: لَيَكُونَا،لَنَسْفَعًا - إبدال هاء التّأنيث تاء: رَحْمَت ٱمْرَأَت - إبدال الثّلاثي الواوي بالألف: ٱلصَّفَا، دَحَٰهَا

قاعدة الفصل والوصل	قاعدة الهمز	قاعدة ماكان فيه قراءتان
- أَم مَّنْ/ أَمَّنْ - عَن مَّا / عَمَّا - لِكَيْ لَا/ لِّكَيْلَا	- في الأوّل: أَنشَأْتُمْ - في الوسط:بَدَءُوكُم - في الآخر: ٱللُّؤْلُؤ	- وَصَّى/ أوصى - فَكِهِين/ فَٰكِهِين - تَجْرِى تَحْتَهَا، تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

وقبل البدء في عرض بعض اللّطائف وتوجيهها دلاليّا، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا البحث سيضرب صفحا عن ذكر مذاهب العلماء وآرائهم حول توقيفية الرّسم العثماني أو اصطلاحيته؛ فقد ذهبوا فيه مذاهب شتّى بين مؤيّد ومنفيّ يحسن الرّجوع إلى ذلك في مظانّه[1]، غير أنّ من الثّابت

[1]- للإطلاع أكثر على حجج كلّ فريق، ينظر: مناهل العرفان، ج1، ص:310، و دراسات في علوم القرآن، فهد الرّومي، ص: 485 وما بعدها. ورسم القرآن ونقطه، ص:345 وما بعدها

لدى جمهور العلماء، والأئمّة الأربعة أنّ اتّباع الرّسم العثمانيّ واجب ولا يجوز مخالفته، والذي أجمع عليه الصّحابة –رضوان الله تعالى عنهم-.

اتّجاهات توجيه الرّسم العثماني:

لقد حفلت المدوّنات التي تناولت رسم المصحف قديما وحديثا، وتعدّدت توجيهاتها، وتباينت أسسها ومرجعيّاتها في تفسير مختلف الظّواهر الكتابيّة التي وقف عليها العلماء والدّارسون، وأشهر هذه الاتّجاهات –باختصار-:

أوّلا: الاتّجاه التّاريخي:

لقد عني أصحابه بتبيان أنّ مخالفة الرّسم القياسيّ الإملائيّ هي صورة مترجمة لتقنيات وقواعد الكتابة في ذلك العصر، ومن الباحثين المحدثين الذين ذهبوا هذا الاتّجاه غانم قدّوري الحمد في كتابه الموسوم بـــ (رسم المصحف دراسة لغويّة تاريخيّة)، الذي يرى أنّ الكتابة العربيّة قد اكتسبت خصائصها الشّكليّة من الكتابات السّامية القديمة كالنّبطيّة والآراميّة، معتمدا في ربطه بين ظواهر الرّسم القرآنيّ وهذه الكتابات القديمة على مجموعة من النّقوش التي تشير إلى وجود علاقات، وهيئات كتابيّة إملائيّة مشتركة بين رسم المصحف وتلك الكتابات[1].

وهذا التوجيه -على موضوعيته- لا يمكن الاعتماد عليه في تعليل ظواهر الكتابة المصحفيّة كلّها ولا يشفي ظمأ الباحث في الكشف عن أسرار تلك الظّواهر لوجود خلافات بين العلماء حول موضع الزّيادة والنّقصان في بعض الوحدات اللّغويّة مثلا.

ثانيا: الاتّجاه اللّغوي:

يفسّر أصحابه الظّواهر الكتابيّة الخاصّة بالمصحف الشّريف تفسيرا لغويّا ونحويّا، ومن أبرز أقطاب هذا الاتّجاه أبي عمرو الدّاني (ت:444هـ) في كتابه (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار) والمهدوي (ت:430هـ) في مؤلّفه (هجاء مصاحف الأمصار). قال الدّاني: "وليس شيء من الرّسم ولا من النّقط اصطلح عليه السّلف -رضوان الله عليهم- إلاّ وقد حاولوا به وجها من الصحّة

[1]- ينظر: رسم المصحف دراسة لغويّة تاريخيّة، ص:51 وما بعدها.

والصّواب وقصدوا فيه طريقا من اللّغة والقياس، لموضعهم من العلم ومكانهم من الفصاحة، علم ذلك من علمه وجهله من جهله" [1].

والذي يتّضح من قول الدّاني أنّ الصّحابة -رضوان الله عنهم- كانوا على علم بالقواعد وعلل الكتابة اللّغويّة، وهو أمر لم تثبته الدّراسات التي بحثت في نشأة القواعد النّحويّة؛ وأنّ تلك "التّعليلات ما هي إلاّ من قبيل الاستئناس والتّلميح؛ لأنّها لم توضع إلاّ بعد انقراض الصّحابة -رضي الله عنهم- وهم قد كتبوا المصحف بهذا الرّسم لحكمة لم نفهمها، وإشارة لم ندركها من غير أن ينظروا إلى العلل النّحويّة أو الصّرفيّة التي استنبطت بعدهم" [2].

ثالثا: الاتّجاه الصّوتي:

يعتمد بالدّرجة الأولى على تعليل الظّواهر الكتابيّة على أساس صوتيّ، لما له من تأثير على رسم المفردات نطقا وكتابة؛ لأنّ الأصل أن تدلّ الكلمة على معناها بحروفها المنطوقة من غير نقص ولا زيادة وذلك وفق قوانين صوتيّة كالإدغام، والإبدال، والحذف، والزّيادة، والنّبر، والوقف وغيرها من الظّواهر الصّوتيّة الأخرى.

ومن الدّراسات الرّائدة في هذا المجال رسالة الدّكتوراه لصاحبها طارق محمود سلمان الخوالدة والمعنونة بـــ(التّفسيرات الصّوتيّة لرسم المصحف)، وكثير من التّوجيهات والتّعليلات الصّوتيّة المبثوثة في الكتب؛ كالنّشر في القراءات العشر لابن الجزري (ت:833هـ)، والمقنع لأبي عمرو الدّاني، وغيرهما.

والاعتماد على هذا الاتّجاه أحيانا لوحده، رغم قربه من الواقع اللّغوي يبقى قاصرا في تعليل بقيّة الظّواهر الكتابيّة الأخرى، على غرار حذف الألف في الفعل ﴿**وَجَآءُو**﴾[الأعراف: 116]، "وقد سبقت الواو بالهمزة التي لا تقلّ صعوبة في النّطق، فاجتماع الهمزة والواو يضاعف من صعوبة

---

[1]- المحكم في نقط المصاحف، الدّاني، ص:196.

[2]- تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، الكردي محمّد طاهر، ص: 175.

النّطق، إلاّ أنّ الألف حذفت، كذلك لا يمكننا أن نتصوّر دور الألف الزّائدة في تسهيل نطق الواو الثّقيلة، فالألف زائدة في الرّسم، وليس لها دور في النّطق"[1].

رابعا: الاتّجاه الدّلالي:

ويربط أصحاب هذا الاتّجاه بين الرّسم والدّلالة ذاهبين إلى أنّ الجانب المعنويّ هو الذي يتحكّم في رسم الكلمة، سواء وجدت في سياق منفرد أو ذكرت في سياقين متشابهين أو مختلفين، وفي كلّ منها يحتكم إلى السّياق الواردة فيه، وقطب هذا الاتّجاه ابن البناء المرّاكشي-(ت:721ه) الذي وجّه كثيرا من الظّواهر الكتابيّة التي خرجت عن الرّسم القياسيّ توجيها دلاليّا. يقول غانم قدّوري الحمد: "ولعلّ أشهر محاولة لتفسير ظواهر الرّسم في القديم تقوم على أساس محدّد، تلك التي يعرضها أبو العبّاس أحمد المراكشي- الشّهير بابن البنّاء في كتابه (عنوان الدّليل من مرسوم خطّ التّنزيل)، وكان أساس هذه المحاولة هو تفسير ظواهر الرّسم على أساس اختلاف معاني الكلمات حسب السّياقات" [2].

والحَمَد لا يتّفق مع المراكشي في الاتّجاه الذي يعتمد عليه في تفسير الظّواهر التي خرجت عن الرّسم القياسيّ، ويرى أنّه قد أسرف في تعليل كثير منها بأسلوب صوفيّ باطنيّ، وأنّه مغرق في الخيال[3].

والمراكشي في كثير من توجيهاته كانت له لمسات فنيّة ولطائف دلاليّة لا تخلو من الإبداعيّة تدعو قارئها إلى التأمّل، كتوجيهه للزّيادة البنائيّة للياء في قوله تعالى: ﴿**بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ**﴾[القلم، 6] فالمفردة (بِأَيِّيكُمُ) "كتبت بياءين تخصيصا لهم بالصّفة وحصول ذلك وتحقّقه في الوجود، فإنّهم هم المفتونون دونه. فانفصل حرف (أيّ) بياءين لصحّة هذا الفرق بينه وبينهم قطعا"[4]، حيث اعتمد على الفرق بين الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم - والمشركين في نسبتهم إلى صفة الجنون التي رموه بها،

---

[1]- ظواهر أسلوبيّة في القرآن الكريم، عتيق عمر عبد الهادي، ص:238.

[2]- رسم المصحف دراسة لغويّة تاريخيّة، ص:8.

[3]- ينظر: نفسه، ص: 8، 191، 338.

[4]- عنوان الدّليل من مرسوم خطّ التّنزيل، المراكشي، ص: 92، وينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2، ص:21، 22.

وهم قد بلغوا الغاية فيها، لذلك زيدت الياء زيادة في اتّصافهم بتلك الصّفة، وغيرها من التّوجيهات التي سنأتي على ذكرها في ثنايا هذا البحث.

ومن خلال عرض هذه الاتّجاهات تبيّن أنّ الاعتماد على اتّجاه واحد فقط في تعليل ظواهر الرّسم القرآنيّ غير كاف، لوجود كثير من الظّواهر التي خرجت عن تعليلات اتّجاه ما، ولكن في تظافر كلّ هذه الاتّجاهات وتآزرها مع بعضها البعض ما يمكّن المتلقّي من الاقتراب من هويّة الرّسم القرآني، ومن ثمّ محاولة القبض على قصدية تلك الظّواهر الكتابيّة التي لم يكشف بعد عن كثير من عللها ومسوّغاتها البيانيّة.

الأبعاد الدّلاليّة لظواهر الرّسم القرآني:

1- البعد العقيدي:

من تجلّيات الدّلالة الإيحائيّة الحاملة لبعد عقيديّ، قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ** ...﴾آل عمران:144]، والذي يلفت الانتباه في مفردات الآية زيادة الياء في (**أَفَإِين**)على غير معهود الخط العربيّ القياسيّ (أفإن). يذكر أبو عمرو الدّاني في بابي (ما رسم بإثبات الياء زائدة أو لمعنى)، و (ذكر ما رسمت الياء فيه على مراد التّليين للهمزة)، توجيهين مختلفين فيقول: "فيجوز أن تكون الياء في ذلك هي الزّائدة، والألف قبلها هي الهمزة ويجوز أن تكون الألف هي الزّائدة بيانا للهمزة والياء هي الهمزة"[1].

ويردّ غانم قدّوري على توجيه الدّاني بأنّه "غير دقيق؛ ذلك لأنّ الياء إنّما أثبتت على قراءة من سهّل الهمزة، والألف في هذه الحالة هي الزّائدة، يؤكّد زيادتها مجيء (**أَفَإِين**) في مصحف (طشقند) مرسومة بالياء دون الألف (أفين)، أمّا إذا كانت القراءة بتحقيق الهمزة فالياء هي الزّائدة لا محالة؛ لأنّها إنّما أثبتت على قراءة من يسهل الهمزة" [2].

---

[1]- المقنع في رسم مصاحف الأمصار، الدّاني، ص:54.

[2]- رسم المصحف دراسة لغويّة تاريخيّة، ص:338.

ويعلّل خصوصية الرّسم في (**أَفَإِيْن**) بقوله: "أمّا كلمة (**أَفَإِيْن**) فرغم أنّ الفاء التي جلبت حكم التّوسّط للهمزة قد جاءت مفتوحة، لكن الهمزة نفسها جاءت مكسورة، وحين سقطت الهمزة التقت فتحة الفاء وكسرة الهمزة، وآلت إلى ما آلت إليه الهمزة عند تخفيفها في مثل (سئم)، إذ خلفتها ياء ضعيفة، فرسمت في (**أَفَإِيْن**) ياء كما رسمت في (سئم)، لكنّ الكتّاب لم يحذفوا الألف التي هي رمز الهمزة قبل أن يعرض لها التّوسّط" [1].

ويواصل تعليله لها، فيقول: "وهذا التّفسير لأصل إثبات الياء في تلك الكلمات إلى جانب الألف يوضّح أنّ رمز الألف في حال اتّصال الكلمة بحرف في أوّلها وتخفيفها تخفيف المتوسّطة لا يدلّ على شيء في النّطق، بل هو أثر قديم متخلّف عن نطق الكلمة محقّقة الهمزة قبل أن يتّصل بأوّلها حرف جرّ أو حرف عطف" [2].

والمفردة (**أَفَإِيْن**) مكوّنة من همزة الاستفهام الإنكاري التي لها حقّ الصّدارة، وحرف العطف (الفاء)، وأداة الشّرط (إن)، والمقرّر حسب قواعد اللّغة أن يذكر جواب الشّرط مرتّبا على فعل الشّرط لتعلّق أحدهما بالآخر، فيكون الجواب المتمثّل في (الانقلاب على الأعقاب) متحقّقا في الوجود بعد وفاة النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم -، وهو أمر بعيد كلّ البعد عن الصّواب، وعن ميزان العقيدة الإسلاميّة لأنّه من غير المعقول أن ينقلب المسلمون كفّارا، وهذا يكشف "بوضوح أنّ جواب الشّرط وهو (انقلبتم) لا يصلح أن يكون في ميزان الصّواب جوابا مرضيّا لفعل الشّرط، بل هو إذا وقع على المخاطبين يكون خطأ شنيعا؛ لأنّ موت الرّسول أو قتله لا يكون سببا في الكفر بالله عزّ وجلّ، ولذلك سلّط عليه استفهام الإنكار والتّوبيخ؛ لأنّ المطلوب من المؤمنين الثّبات على الإيمان في حياة الرّسل وبعد حياتهم ومن أجل التّنبيه على هذا المعنى زيدت (الياء) في (**أَفَإِيْن**) لتلفت الأذهان إلى أنّ رابطة السّببيّة التي تدلّ عليها أساليب الشّرط معدومة في هذا التّركيب" [3].

---

[1] - نفسه، ص:335.

[2] - نفسه، ص:338.

[3] - «خصوصيات الرّسم العثماني للمصحف الشّريف (8) (زيادة الياء)» (مقال مسلسل)، المطعني عبد العظيم، ص:13، وينظر: الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن الكريم، القليني سامح، ص:69.

يقول محمّد شملول في توجيه رسم الكلمة: "وذلك ليلفت التظر إلى أنّ الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم - سيموت مثل البشر- جميعا، وعلى المسلمين ألاّ ينقلبوا على أعقابهم بعد موته، وألاّ يصيبهم ذلك الحدث بالذّهول وعدم الاتّزان، وإنّما يتماسكوا ويعلموا أنّ الله سبحانه وتعالى لم يجعل لأحد من قبله الخلد" [1]، فموت الرّسول مقطوع به، وكذلك هم أيضا ميّتون، ورضي الله عن أبي بكر وموقفه الذي سجّله له التّاريخ حين ثبّت المسلمين بعد وفاته - صلّى الله عليه وسلّم -.

2- البعد الشّرعي العقابي:

من الشّواهد المنتخبة التي تؤكّد على خصوصية الرّسم القرآني، ما ورد في الحديث عن الأحكام الشرعيّة المتعلّقة بالخيانة الزّوجيّة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ**﴾[النور:8]، فكلمة (**يَدۡرَؤُا**) وردت مخالفة لقواعد الإملاء العربيّ (يدرأ) والسّياق الكريم يكشف عن فلسفة العقوبة الانضباطيّة التي يسعى إلى تحقيقها الشّارع الحكيم، المترتّبة على فاحشة زنى المحصن بالصّورة التي وضّحها الشّرع، وما ينجرّ عنها من عقوبة الرّجم حتّى الموت وذلك في حالة ثبوت التّهمة على الزّوجة، و"هي عقوبة شديدة الإيلام؛ لأنّها تحدث في أثنائها موتا بطيئا شنيعا ... ومن أجل هذا زيدت الواو في الفعل (**يَدۡرَؤُا**) وجاءت هذه الزّيادة رمزا إلى تفظيع العقوبة التي توقع عليها، والأثر العظيم الذي يعود عليها من الأيمان الخمسة التي تصون دمها من الإهدار، وتحفظ حياتها من الإماتة... ولم يتوقّف الأثر العظيم لردّ المرأة أيمان زوجها الملاعن بها على دفع العذاب المادّي عنها، بل يتعدّاه إلى دفع ما هو أشدّ منه نقيصة تصيبها وتصيب عشيرتها من بعدها وهو سوء سمعتها، وإطلاق الألسنة التاهشة في سيرتها، الطّاعنة في عفّتها وشرفها، فزيدت الواو في الفعل (**يَدۡرَؤُا**) للإيحاء بكلّ هذه المعاني المكثّفة، المدلول عليها بحرف واحد هو الواو" [2]، وكأنّ في زيادة الواو ما يتناسب دلاليّا مع زيادة ثقل وتبعات وخطورة العقوبة المترتّبة عن ارتكاب تلك الفاحشة، والتي تهمس بضرورة الحذر من الوقوع في مثل تلك المخالفات الشّرعيّة.

---

[1]- إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، شملول محمّد، ص:145.

[2]- «خصوصيات الرّسم العثماني للمصحف الشّريف (4) (زيادة الواو)»، ص:24

3- البعد المعنوي والحسّي:

إنّ الأصل في الخطّ القياسيّ أن تدلّ الكلمة على معناها بحروفها المنطوقة من غير نقص ولا زيادة، إلاّ أنّ خطّ المصحف خالف هذا الأصل، كما في قوله تعالى: ﴿...**وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا**﴾[الكهف:24]، فقواعد الخطّ الإملائيّ ترجّح ثبوت الياء العائدة على محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-، بينما يدعو رسم المصحف إلى حذفها، فلماذا هذا الاختزال في بنية الكلمة (يَهْدِيَنِ)؟

يقول الزّمخشري (ت:538هـ): "ومعناه: لعلّ الله يؤتيني من البيّنات والحجج على أنّي نبيّ صادق ما هو أعظم في الدّلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف، وقد فعل ذلك؛ حيث أتاه الله من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدلّ"[1].

والمقصود من كلام الزّمخشري هو الهداية المعنويّة غير الظّاهرة، بدليل عبارة (إذا نسيت)، "والنّسيان كيفية نفسيّة لا صورة من صور الوجود المادّي المحسوس، وكذلك الهداية بمعنى التذكّر بعد النّسيان أمر معنويّ لا ماديّ محسوس"[2].

بينما ثبتت الياء في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ**﴾[القصص:22]، العائدة على موسى- عليه السّلام -، لتؤشّر في هدي السّياق لدلالة حسيّة ماديّة؛ إذ المقصود بالهداية في السّياق المنتخب أنّها "هداية السّبيل المحسوسة إلى مدين في عالم الملك، يدلّ عليه قوله تعالى: (ولما توجّه تلقاء مدين)"[3].

---

[1]- الكشّاف، ج3، ص:579.

[2]- «خصوصيات الرّسم العثماني للمصحف الشّريف (9) نقص الياء (1)»، ص:24.

[3]- عنوان الدّليل من مرسوم خطّ التّنزيل، ص:95، و ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص:32.

وهو المعنى ذاته الذي عبّر عنه المطعني بقوله: "أنّ الهداية - هنا - هداية حسيّة، فموسى – عليه السّلام – لمّا خرج من مصر خائفا يترقّب، بعد أن علم أنّ الملأ يتربّصون به ليقتلوه، رجا ربّه يبصره بأيسر الطّرق الموصلة إلى مدين.. إذن فهي هداية حسيّة ظاهرة، لا معنويّة مستترة"[1].

ويفصّل فاضل السّامرّائي الحديث عن دلالة حضور ياء المتكلّم في البناء السّطحي للآية فيقول: "وذلك أنّ المقام يستدعي إبراز ياء المتكلّم؛ لأنّه مقام التجاء وخوف وخشية. والخوف يستدعي أن يلصق الإنسان بمن يحميه ويلقي بنفسه كلّها عليه، ويستدعي أن يلتجئ إلى من ينصره، ويأخذ بيده بكلّ أحاسيسه ومشاعره التجاء كاملا ... فقد خرج موسى خائفا يترقّب فارّا من بطش فرعون، فالتجأ إلى ربّه التجاء الخائف الوجل طالبا منه أن يهديه سواء السّبيل، ولذا أظهر الياء دلالة على كمال الالتجاء وإلقاء النّفس كلّها أمام خالقه"[2]، فالسّامرّائي يعتمد في تعليله لزيادة الياء على السّياق الخارجي (الجانب التّداولي)، وعلى السّياق النّفسيّ.

جاء في كتاب (إعجاز القرآن البياني): "ولم يأت ذكر الحرف في موضع وحذفه في موضع آخر قريب منه مصادفة، وإنّما جاء لحكمة مقصودة، تقرّر المعنى المراد، وتحقّق الإعجاز البيانيّ الرّفيع. إذا ذكر الحرف في آية كان ذكره مقصودا، لتحقيق حكمة مرادة، حكمة لفظية بلاغيّة ومعنويّة تفسيريّة، وإذا حذف ذلك الحرف في آية أخرى قريبة من الآية السّابقة كان حذفه مقصودا، ولتحقيق حكمة مرادة أيضا، لفظيّة ومعنويّة"[3].

ولعلّ ما سبق ذكره يبيح لنا القول: أنّ دقائق الرّسم القرآني هي التي قادت القدماء والمحدثين إلى استخراج هذه اللّطائف البيانيّة، إذ ليس من السويّ أن يأتي التّعبير القرآني بوحدات لسانيّة في سياق ويسقطها في سياق آخر من دون أن يومئ إلى أسرار دلاليّة ونكات بلاغيّة.

4- البعد النّفسي:

قد تشي خصوصية الرّسم الكتابي للمفردة القرآنيّة بالحالة النّفسيّة التي يكون عليها الشّخص كما في قوله تعالى حكاية عن سليمان – عليه السّلام – حين تفقّد الطّير ورأى غياب الهدهد عن

---

[1]- السّابق، ص:24.

[2]- التّعبير القرآني، السّامرّائي فاضل صالح، ص:84.

[3]- إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الربّاني، الخالدي صلاح عبد الفتّاح، ص: 186.

الحشد الهائل: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾[النمل:21] فالبنية السّطحيّة للآية الكريمة تشهد مخالفة في الرّسم القياسيّ في كلمة (لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ) عكس كلمة (لَأُعَذِّبَنَّهُۥ) التي وردت متجانسة مع قواعد الإملاء العربيّ، وقد ذهب العلماء في تعليل هذه الظّاهرة الكتابيّة عدّة مذاهب؛ فالفرّاء (ت:207ه) يعتبر زيادة الألف من سوء هجاء الأوّلين، وأنّ كتّاب المصحف لا يستمرّون في الكتابة على طريقة واحدة في رسم الكلمات المتشابهة[1]،وذلك بزيادة الألف التي تكتب ولا تنطق.

وما ذهب إليه الفرّاء من تعليل يقدح في نزاهة الصّحابة وهو أمر مستبعد بكثير، و "عدم استمرار الكتّاب هذا كان هناك ما يسوغه، بل يدفع إليه حين يجد الكاتب نفسه بين أن يلتزم رسما شائعا للكلمة لكنّه قاصر عن تمثيل أصواتها التي يسمعها، وبين أن يستجيب للنّطق الفعليّ، ويغيّر قليلا في رسم الكلمة لتمثيل النّطق المسموع تمثيلا أكثر دقّة – في وقت لم تكن قواعد الكتابة والهجاء قد استقرّت وعرفت من قبل الكتّاب جميعا بدرجة واحدة –، ومن ثمّ ظهرت بعض الأمثلة المتشابهة مرسومة بأكثر من طريقة"[2].

في حين ترى بعض المدوّنات التّفسيريّة أنّ الحركات القصيرة كانت تصوّر حروفا. قال الزّمخشري: "فإن قلت: كيف خطّ في المصحف (ولا أوضعوا) بزيادة الألف؟، قلت: كانت الفتحة تكتب ألفا قبل الخطّ العربيّ، والخطّ العربيّ اخترع قريبا من نزول القرآن، وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطّباع، فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى، ونحو: أو لاأذبحنّه"[3]. أي: أنّه انعكاس للصّورة التي كانت عليها الكتابة العربيّة، والسّؤال الأولى بالطّرح في هذا المقام: إذا كانت الألف الفتحة تكتب ألفا قبل الخطّ العربيّ، فلماذا لم تكتب على تلك الصّورة في كثير من السّياقات؟، وهو تعليل لا نجد له دليلا مقنعا.

---

[1]- ينظر: معاني القرآن، الفرّاء، ج1، ص:439.

[2]- رسم المصحف دراسة لغويّة تاريخيّة، ص:343.

[3]- الكشّاف، ج3، ص: 51.

ويرى الدّاني أنّ زيادة الألف في ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ جاءت لتؤدّي معان أربعة: فأحدها: أن تكون صورة لفتحة الهمزة، من حيث كانت الفتحة مأخوذة منها، والثّاني: أن تكون الحركة نفسها لا صورة لها، على مذهب العرب في تصوير الحركات حروفا، والثّالث: أن تكون دليلا على إشباع فتحة الهمزة وتمطيطها في اللّفظ، لخفاء الهمزة وبعد مخرجها، والرّابع: أن تكون تقوية للهمزة وبيانا لها[1].

ويرجع غانم قدّوري تعليل الرّسم الكتابيّ على تلك الهيئة لاحتمال واحد: "وهو أنّ اللاّم كانت إذا اتّصلت بها الألف فإنّها ترسم بطريقة خاصّة في الخطّ العربيّ القديم تخالف طريقة اتّصال الألف بأيّ حرف آخر من حروف الأبجديّة، إذ إنّها يكوّنان شكلا يشبه خطّين متقاطعين تربطها من أسفل قاعدة هكذا (X)،. وقد سمّى علماء العربيّة هذا الشّكل باسم (اللاّم ألف) ...وهو دليل على أنّ الكتابة العربيّة آنذاك لم تكن تعرف صورة لاتّصال الألف باللاّم إلاّ على هذه الطّريقة"[2]، فالأستاذ الحمد يرى أنّ رسم الألف مع اللاّم بالطّريقة التي ورد بها شكل من أشكال الكتابة العربيّة القديمة وامتداد للكتابات السّامية كالنّبطيّة.

ويرى صاحب (البرهان في علوم القرآن) أنّ المقدّم من ألفاظ الوعيد (العذاب) ليس بالضّرورة أن يكون ذا أهمّية كبيرة مقارنة مع لفظ (الذّبح) مخالفا بذلك البلاغيّين الذين يقولون بأهمّية المقدّم في الكلام، إذ يقول: "زيدت الألف تنبيها على أنّ المؤخّر أشدّ وأثقل في الوجود من المقدّم عليه لفظا فالذّبح أشدّ من العذاب" [3].

ومن المحدثين من يرجع تفسير رسم المفردة المدروسة على تلك الطّريقة الكتابيّة إلى "التّمهّل والتّفكّر والاسترخاء قبل اتّخاذ قرار ذبح الهدهد، والذي يدلّ على ذلك قول سليمان – عليه السّلام – بعدها ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾، أي أنّه لن يذبحه إلى بعد تفكير ورويّة، فلربّما جاءه بسلطان مبين

---

[1]- ينظر: المحكم في نقط المصاحف، ص:176، 177.

[2]- رسم المصحف دراسة لغويّة تاريخيّة، ص:345.

[3]- البرهان في علوم القرآن، ج2، ص:16، وينظر: عنوان الدّليل من مرسوم خطّ التّنزيل، ص:56.

يبرّر غيابه، وهذا ما حدث بالفعل، ويجب أن نأخذ في الاعتبار أنّ سليمان – عليه السّلام – نبيّ من أنبياء الله فلا يمكن أن يتّخذ قرارا بدون رويّة وحكمة وعلم، خاصّة وأنّ الله قد آتاه العلم" [1].

وأرجع سامح القليني أن تكون علّة الرّسم في ﴿لَأَاذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ إلى دلالة نفسيّة بقوله: "وربّما كان هذا الأمر في لحظة الانفعال الأولى من سليمان – عليه السّلام -، ثمّ بعد ذلك ظهر تردّده في هذا التّوكيد وتراجعه عنه رحمة منه، فكانت الإشارة بعد ذلك بنفي الذّبح ووضع حرف (لا)، وبذلك تكون هذه الكلمة تحوي التّوكيد على الذّبح والنّفي له في آن واحد، وكأنّها تقوم بتصوير الحالة النّفسيّة لسليمان -عليه السّلام- مع الهدهد بتردّده بين العاطفتين (القسوة الطّارئة، والشّفقة الحانية بعدها)"[2]، فضلا عن احتشاد السّياق بأساليب التّوكيد (لام التّوكيد، والنّون المشدّدة الثّقيلة)، ووصف المصدر بالشدّة، إضافة إلى التّضعيف في (تفقّد) وتعالي نبرة التّهديد والوعيد يحدث جرسا قويّا شديدا متواليا.

ومن الشّواهد التي تقوم دليلا على ملحظ نفسيّ- مجيء كلمة ﴿دُعَتُؤاْ﴾ في الغالب مطابقة للكتابة القياسيّة[3]، إلا في موضع واحد شذّت فيه عن مثيلاتها، وذلك في قوله تعالى: ﴿...قَالُواْ فَٱدۡعُواْ وَمَا دُعَتُؤاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾[غافر:50]، والملاحظ أنّ كلمة ﴿دُعَتُؤاْ﴾ في مرسوم خطّ التّنزيل زيد فيها الواو والألف خلافا للرّسم الإملائي (دعاء) بالهمزة المضمومة، لتؤشّر في ظلّ السّياق إلى الحالة النّفسيّة الممزّقة للكافرين؛ وتصوير صورتهم النّفسيّة المتألّمة أشدّ التّألّم، حيث تتزايد صرخاتهم في جهنّم بامتداد أصواتهم وارتفاع صياحهم، وهم يستغيثون فيها طامعين أن يخفّف عنهم -ولات حين مناص-. يقول المراكشي: "وزيدت الألف تنبيها على ظهور دعائهم باللّسان لا بالقلب، فإنّ الذي ظهر باللّسان غير ما وقر في القلب والجنان" [4].

---

[1]- إعجاز رسم القرآن وإعجاز التّلاوة، ص:144.

[2]- الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن الكريم، ص:191.

[3]- على سبيل المثال السّور التّالية: الرّعد، الآية: 14، النّور، الآية: 63، فصلت، الآية:49.

[4]- عنوان الدّليل من مرسوم خطّ التّنزيل، ص: 43.

ويقول المطعني: "زيدت في غافر لإفادة التّهويل؛ لأنّ الكافرين فيها يدعون رهبة ورغبة: رهبة من شدّة العذاب الذي هم فيه، ورغبة في تخفيف الله عنهم يوما من ذلك العذاب المؤلم. أمّا في سورة الرّعد فالكافرون يدعون أصنامهم رغبة في حصول النّفع، وهم حين يدعونهم يرفلون في نعم الدّنيا، وليس لديهم أدنى إحساس بأيّ عذاب، فدعاؤهم هادئ فاتر رخو. أمّا دعاء أهل النّار فهو دعاء مصبوغ بالآلام، لذلك هوّل بزيادة (الواو) فيه" [1].

وهذه المسوّغات الدّلاليّة هي التي اقتضت أن تأتي المفردة القرآنيّة على هيئة كتابيّة مخصوصة، ممّا "يؤكّد إلى درجة اليقين أنّ خصوصيات الرّسم العثمانيّ للمصحف الشّريف، إنّما هي أدوات تعبيريّة صامتة ناطقة، تدلّ على معان مقصودة قصدا، وليس هي من اختلافات كتبة الوحي في رسم الكلمات حتّى تأتي كلمة أو كلمات فيه برسم، وأخرى مماثلة للأولى برسم آخر، جارية على وجهات النّظر المختلفة لكتبة الوحي" [2].

5- البعد الغيبي والزّمني:

إنّ المتأمّل في سياقات القرآن الكريم يجد أنّ هناك اختلافا في كثير من سياقاته بين ما يفرضه الرّسم، وما تقضي به قواعد الكتابة الإملائيّة، في مثل قوله تعالى حكاية عن موسى – عليه السّلام – في حواره مع العبد الصّالح: ﴿**قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا**﴾[الكهف:66]، فكلمة (**تُعَلِّمَن**) حسب قواعد الرّسم القياسيّ تكتب بإثبات الياء (تعلّمني) وهنا جاءت بدون ياء من غير مسوّغ نحويّ أو صرفيّ.

وخطف ياء المتكلّم من المفردة يومئ في ظلّ السّياق إلى معنى دقيق، وذلك "أنّ موضوع التّعلّم الذي يرجوه موسى من العبد الصّالح غيبيّ يتّصل ببواطن الأمور لا ظواهرها، وهي الأسباب الخفيّة في: قتل الغلام، خرق السّفينة، إقامة الجدار، فهذه الأسباب من علم الله الغيبي كشف عنها للعبد الصّالح ولم يكشف عنها لأحد سواه" [3].

---

[1]- «خصوصيات الرّسم العثماني للمصحف الشّريف (7) زيادة الواو في أواخر الأسماء»، ص:17.

[2]- نفسه، ص:17.

[3]- الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن الكريم، ص: 114.

بينما نجد المفردة نفسها قد رسمت بإثبات الياء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ...**﴾،[يوسف:101] فمن خلال البناء السّطحيّ للوحدات اللّسانيّة، نجد ثبوت الياء في (**عَلَّمْتَنِي**)؛ "لأنّ المعنى فيها ماديّ حسّيّ-؛ أي الوزارة وفكّ رموز الرّؤى المناميّة"[1]، ففي حالة ثبوت الياء يكون المعنى متعلّقا بأمر حسّي- ظاهريّ، بينما في حالة إسقاطها يكون البعد الدّلالي أمرا غيبيّا.

ويمكن أن يشير هذا الإسقاط لحرف الياء إلى بعد زمنيّ يتمثّل في السّرعة والعجلة وضيق الوقت وعدم الصّبر على الانتظار. يقول محمّد شملول: "وقد جاءت كلمة (**تُعَلِّمَن**) بحذف حرف ياء المتكلّم موحية بأنّ موسى - عليه السّلام -كان في عجلة من أمره، فكان يريد أن يتعلّم في أقصر وقت وبسرعة؛ لأنّ أصل الكلمة (تعلّمني)، وقد أحسن العبد الصّالح بالتّعقيب على طلب موسى هذا بقوله (قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)[الكهف:67]" [2].

ولعلّ لدرجة طول الصّوت وقصره فاعليّة كبيرة في القبض على دلالة المفردة بتلك الهيئة الكتابيّة إذ كلّ تغيير في درجة الصّوت طولا وقصرا يؤدّي إلى تغيير في المعنى[3]، فمن الثّابت في الدّراسات الصّوتيّة أنّ الزّمن الذي يستغرق في أثناء نطق الياء ضعف الزّمن الذي يستغرق في نطق الكسرة[4] في (**تُعَلِّمَن**)، والذي يزيدنا اطمئنانا إلى هذا التّوجيه الدّلاليّ ما أثبتته الأبحاث المخبريّة من أنّ ذبذبات الياء أثناء تلاوة القرآن تبلغ (2400) ذبذبة في الثّانية، في حين تبلغ ذبذبات الكسرة (1900) ذبذبة في الثّانية[5].

---

[1]- «خصوصيات الرّسم العثماني للمصحف الشّريف (9) نقص الياء (1)»، ص:24.

[2]- إعجاز رسم القرآن وإعجاز التّلاوة، ص:125.

[3]- ينظر: في الأصوات اللّغويّة دراسة في أصوات المدّ العربيّة، المطلبي غالب فاضل، ص:38، 39.

[4]- ينظر: الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، ص: 82، و التّشكيل الصّوتي في اللّغة العربيّة، العاني سلمان حسن، ص: 38.

[5]- ينظر: أطلس أصوات اللّغة العربيّة، وفاء البيه، ص:1436.

وهذه الخصائص الصّوتيّة والفيزيائيّة المميّزة التي يتّسم بها المصوّت القصير (الكسرة) تؤهّلها أن تكون متمكّنة في مكانها مطمئنّة في سياقها في التّعبير عن السّرعة وضيق الوقت، ولهفة موسى – عليه السّلام - الشّديدة إلى التّعلّم، إذ هو لا يطيق انتظارا.

ومّما جاء في هذا المدار، قوله تعالى ﴿... **وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[النساء:146]، والآية وردت في سياق الحديث عن المنافقين الذين تابوا وأخلصوا توبتهم طاعة لله ورسوله وأيقنوا بوعده، وقد شكّل حذف الياء لغير داع نحويّ أو صرفيّ من الفعل (**يُؤْتِ**) ملحظا بارزا فسّر علّته الشّوكاني (ت:1250ه) بقوله: "وحذفت الياء من (يؤت) في الخطّ كما حذفت في اللّفظ لسكونها وسكون اللاّم بعدها"[(1)].

وقال صاحب (الدرّ المصون): "رسمت (**يُؤْتِ**) دون ياء وهو مضارع مرفوع فحقّ يائه أن تثبت لفظا وخطّا، إلاّ أنّها حذفت لفظا في الوصل لالتقاء السّاكنين فجاء الرّسم تابعا للّفظ"[(2)].

وإسقاط الياء لغير علّة لغويّة يؤشّر في هدي السّياق إلى دلالة غيبيّة كشف عنها المطعني بقوله: "هي أنّ الإتيان الذي وعد الله به عباده المؤمنين الموصوفين بهذه الأوصاف العظيمة، وهي: التّوبة النّصوح، الإصلاح في القول والعمل، الاعتصام بالله عزّ وجلّ، إخلاص الدّين لله، والإعراض عمّن سواه. هذا الإتيان الذي وعدهم به، هو إتيان غيبيّ أخرويّ لا يدرك كنهه أحد"[(3)].

في حين يرى كامل شعير أنّ هذا الأجر الذي وعدوا به مستمرّ لا ينقطع، حيث "إنّها تسقط حين يكون معنى الكلمة يبدأ من الحياة الدّنيا ويستمرّ إلى الآخرة، مثل (**وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**)، والأجر هو (ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين)، وقد ابتدأ ذلك لهم في الدّنيا متّصلا

---

(1)- فتح القدير، الشّوكاني، ج5، ص: 339.

(2)- الدرّ المصون، السّمين الحلبي، ج4، ص:132.

(3)- «خصوصيات الرّسم العثماني للمصحف الشّريف (2) (نقص الياء)»، ص:26.

بالآخرة إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيكون حذف الياء منبّها على ذلك"[1]، وعليه، فإنّ خصوصية الرّسم هي التي منحت المفردة القرآنيّة تكثيفا دلاليّا.

6- البعد الاجتماعي: من ظواهر الرّسم الكتابيّ للمفردة القرآنيّة حذف الألف في مفردة وذكرها في مفردة أخرى في السّياق نفسه، ومن أبرز الشّواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ**﴾التوبة:60]، فمن الهيئات الكتابيّة التي تلفت النّظر في معمارية هذه الآية حذف الألف الوسطيّة في كلمة (**ٱلصَّدَقَٰتُ**)، ممّا يوحي بأهمّية الصّدقات ودورها في تآلف شرائح المجتمع عن طريق مساعدة بعضهم البعض تحقيقا لمبدأ المسلم أخو المسلم، " ثمّ إنّها تدعو ضمنيّا إلى أن يتماسك الأثرياء وأولو الطّول والسّعة، وأن يتّحدوا في سبيل إنشاء المؤسّسات والمصانع، ودور الرّعاية ولتوفير الدّعم والعمل والرّاتب الجيّد لجميع شرائح المجتمع، فضلا عن أنّ سدّ الأصوات الفجوة التي تنجم عن حذف الألف الوسطيّة من خلال اتّحادها وترابطها؛ يعبّر عن أنّ الصّدقة فيها سدّ للخلّة وتكملة للنّواقص، وجبر والتئام للكسر المتولّد من الحاجة، ولا ننسى مصاقبة إخفاء الألف الوسطيّة فيها لضرورة التّصدّق بخفاء من غير الرّياء وإيذاء مشاعر المتصدّق عليه" [2].

كما أنّها – الألف الوسطيّة - أسقطت أيضا من الوحدات اللّغويّة (**ٱلۡمَسَٰكِينِ، ٱلۡعَٰمِلِينَ ٱلۡغَٰرِمِينَ**) في حين أثبتت في صنفين آخرين من مستحقّي الصّدقات هما (الفقراء، وفي الرّقاب)، ولعلّ هذا كلّه يوحي بإشراقات دلاليّة لخّصتها فخريّة غريب قادر، بقولها: "حذف الألف الوسطيّة في (**ٱلۡمَسَٰكِينِ، ٱلۡعَٰمِلِينَ، ٱلۡغَٰرِمِينَ**) يؤدّي إلى تضييق بنيتها ليعبّر عن ضيق معيشتهم، وثمّة ملحظ وتوافق جميل بين انكماش لفظة (**ٱلۡغَٰرِمِينَ**)، وبين مدلولها؛ إذ يصوّر انكماش الدّائن وتواريه عن

---

[1]- الإعجاز القرآني في الرّسم العثماني، شعير عبد المنعم كامل، ص:66.

[2]- تجلّيات الدّلالة الإيحائيّة في الخطاب القرآني، فخرية غريب قادر، ص: 80.

الأنظار (بدلالة تواري الألف) إثر الضّغط المتزايد عليه من تراكم الدّيون، ممّا يحمله على الانكماش فلا يقدر على رفع رأسه بوجه مدينيه (أرباب الدّيون)"[1].

ومن الشّواهد التي تدلّ على بعد اجتماعيّ تضامنيّ، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ...﴾[النّحل:90] ، حيث وردت مفردة (إِيتَآيِٕ) على غير معهود الرّسم (إيتاء) خارجة على مألوف الكتابة الإملائيّة. يقول المطعني في توجيه رسمها بهذه الصّورة: "والذي تركن إليه النّفس، ويطمئنّ إليه القلب أنّ (الياء) زيدت هنا للحثّ على المبالغة في العطاء لمستحقّيه من ذوي القرابة، وإطلاق اليد في البرّ والإحسان، حتّى لكأنّ (الياء) تمديد وتوسيع لدائرة الإنفاق الواجب والمستحب. هذا التّمديد والتّوسيع يفهم من الإيحاء اللّطيف من توسيع وامتداد المساحة التي شغلتها الكلمة بسبب زيادة هذه (الياء)، وفيها معنى دقيق آخر، هو أن يسعى ذوو الفضل بعطاياهم إلى من يعلمون أنّهم في حاجة إلى مدّ يد العون والمواساة، ولا ريب أنّ السّاعي بالخير إلى مستحقّيه أزكى عند الله من الذي يسعى إليه ذوو الحاجات؛ لأنّ في ذلك إحراجا لهم، وشيئا من الإذلال"[2]، ومنه، فإنّ الرّسم هو الذي قاد إلى تمثّل هذه الدّلالات والأبعاد.

7- **البعد التّعظيمي:** من مواضع رسم الهمزة المتطرّفة المضمومة بعد فتحة طويلة على غير مألوف الرّسم القياسيّ، قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾[الصّفات:106]، حيث رسمت كلمة (ٱلۡبَلَٰٓؤُا) بزيادة الواو والألف، في حين جاءت الكلمة نفسها مرسومة على قواعد الخطّ القياسيّ (بلاء) في أكثر من موضع[3].

---

[1]- نفسه، ص: 81.

[2]- «خصوصيات الرّسم العثماني للمصحف الشّريف (4) (زيادة الياء)»، ص:15، وينظر: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التّلاوة ص:146، 147.

[3]- على سبيل المثال السّور التّالية: البقرة، الآية:49، الأنفال، الآية:17، إبراهيم، الآية:6.

ذكر الدّاني في باب (ذكر ما رسمت فيه الواو صورة للهمزة على مراد الاتّصال أو التّسهيل) تعليل زيادة الواو بعدها ألف بقوله: "وكلّ ما في القرآن على وجه الرّفع فالواو فيه مثبتة، وكلّ ما كان على غير وجه الرّفع فليس فيه واو"[1].

و الدّاني في توجيهه لخصوصية هذا الرّسم في السّياق المنتخب يكون قد ساوى بين طريقة كتابة الهمزة المتطرّفة في جميع صورها وهيئاتها الكتابيّة، و"لم يفرّق بين الهمزة المتطرّفة بعد فتحة قصيرة التي رسمت واوا، والهمزة المتطرّفة بعد فتحة طويلة (ألف) التي رسمت واوا كذلك ...وكان ينبغي الفصل بينهما في التّوجيه والتّعليل؛ لأنّ الهمزة المتطرّفة بعد فتحة قصيرة ترسم في الأصل على ألف، والهمزة المتطرّفة بعد فتحة طويلة لا ترسم في الأصل على صورة، كما أنّ الحالة الأولى لا تسبق الهمزة فيها بمدّ صوتيّ؛ لأنّ ما قبلها فتحة قصيرة وذلك بخلاف الحالة الثّانية التي تسبق الهمزة فيها بمدّ صوتيّ وهو الألف"[2]، وهو يربط رسم الهمزة بالواو وعلّة ذلك عنده أنّها تؤوّل إلى واو في التّخفيف[3].

أمّا فيما يتعلّق بإثبات الألف بعد الواو على غير معهود رسم الخط الإملائيّ فقد ذكر فيه "ورسمت الألف بعد الواو في هذه المواضع لأحد معنيين: إمّا تقوية للهمزة لخفائها، وهو قول الكسائي وإمّا على تشبيه الواو التي هي صورة الهمزة في ذلك بواو الجمع من حيث وقعتا طرفا فألحقت الألف بعدها كما ألحقت بعد تلك، وهو قول أبي عمرو بن العلاء، والقولان جيّدان"[4].

والرّأي الأوّل الذي نقله الدّاني عن الكسائي (ت:189ه) "لا يستقيم مع الواقع الصّوتي أو النّطقي؛ لأنّ الألف زائدة في الرّسم ولا تنطق، فكيف تقوّي الهمزة وهي لا تنطق"[5].

---

[1]- المقنع في رسم المصاحف، ص:61.
[2]- ظواهر أسلوبيّة في القرآن الكريم، ص: 292.
[3]- ينظر: رسم المصحف دراسة لغويّة تاريخيّة، ص: 331.
[4]- المقنع في رسم المصاحف، ص: 65.
[5]- ظواهر أسلوبيّة في القرآن الكريم، ص: 393.

أمّا الرّأي الثّاني المنسوب إلى ابن العلاء فقد رجّحه غانم قدّوري واعتبره صحيحا، "ولكن ليس على أساس أنّ الواو صورة الهمزة، وإنّما على أساس أنّها تمثّل الواو الضّعيفة المتخلّفة عن تخفيف الهمزة المضمومة بعد فتحة، والواقعة في طرف الكلمة حين النّطق بها في كلام متّصل"[1].

وقد وجّه المطعني رسم مفردة (**ٱلۡبَلَٰٓؤُا**) توجيها دلاليّا، فقال:"أمّا البلاء في آية الصّافات فهو أعظم وأشقّ من البلاء الذي كان واقعا على بني إسرائيل من آل فرعون؛ لأنّ الله أمر إبراهيم – عليه السّلام – أن يذبح ابنه الوحيد الذي رزقه الله إيّاه بعد شوق طويل، وهذا تكليف شاقّ لا عهد للنّاس به، وإبراهيم – عليه السّلام – لم يكن قاسي القلب، جاف المشاعر، حتّى يسهل عليه سفك الدّماء ... لذلك كان البلاء الذي حمّله الله إيّاه أعظم وأثقل عشرات المرّات من البلاء الذي رزح تحته بنو إسرائيل في مصر، لذلك زيدت الواو فيه، ولم تزد في بلاء بني إسرائيل على أنّ بلاء إبراهيم أشدّ ألما وأقسى وقعا على النّفس"[2]، بمعنى أنّ الزّيادة في بنية الكلمة أوحت بزيادة حجم البلاء وكأنّه بلاء فوق كلّ بلاء.

وتأسيسا على ما سبق ذكره فإنّ الاتّكاء على التّوجيه الدّلاليّ كان له اليد الطّولى في الوقوف على هذه الأبعاد، والإشارات البيانيّة التي ما كانت لتظهر لو رسمت تلك المفردات المدروسة على معهود قواعد الإملاء العربيّ، ممّا يؤكّد قصدية التّعبير القرآني.

الخاتمة:

بعد هذا الطّرح الموجز لخصوصية رسم المفردة القرآنيّة، وما تشي به من الأسرار الدّلاليّة، يخلص البحث إلى جملة من النّتائج نجملها فيما يلي:

- أنّ المفردة القرآنيّة تتمتّع بخصوصية كتابتها على غير معهود الخطّ القياسيّ العربيّ، وهذه الخصوصيّة تشدّ انتباه المتلقّي، وتستحثّه للبحث عن أسرار تلك الهيئات الكتابيّة المتميّزة.

---

[1]- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ص: 331.

[2]- «خصوصيات الرّسم العثماني للمصحف الشّريف (7) (زيادة الواو في أواخر الأسماء)»، ص:18، وينظر: الإعجاز القرآني في الرّسم العثماني، ص: 103، و إعجاز رسم القرآن وإعجاز التّلاوة، ص: 158، والجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن الكريم ص:48، 49.

- كان للسّياق بمختلف أنواعه (اللّغويّ، التّداوليّ، التفسيّ ...) الدّور الرّئيس، واليد الطّولى في توجيه كثير من الظّواهر الكتابيّة في القرآن الكريم، والذي بإمكانه أنّ يقرّب الباحث من هويّة تلك الظّواهر.

- ضرورة الاعتماد على مختلف المعايير اللّغويّة، والصّوتيّة، والدّلاليّة، وغيرها، وتآزر مختلف القرائن وائتلافها في محاولة توجيه الكلمات التي خالفت قواعد الإملاء العربيّ، للقبض على أسرارها الدّلاليّة.

- تمتّع علماء وباحثي المنجزين التّراثيّ والحداثيّ بكفاءة قرائيّة كشفت عن كثير من لطائف المعاني، من خلال استنطاقهم لتلك الأنساق الكتابيّة في منظومة الرّسم العثمانيّ.

- تفصح المفردات القرآنيّة في جوانبها الكتابيّة، والنّطقيّة، والمعنويّة عن عبقريّة اللّغة العربيّة التي اتّخذها الله تعالى وعاء لأسراره، ومستودع إعجازه.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم بروايتي حفص عن عاصم وورش عن نافع.**

01- أبحاث في علوم القرآن، غانم قدّوري الحمد، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط1، 1426هـ، 2006م.

02- الإتقان في علوم القرآن، السّيوطي جلال الدّين، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشّؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السّعوديّة، (د ط)، (د تا).

03- الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر، (د ط)، (د تا).

04- أطلس أصوات اللّغة العربيّة، وفاء البيه، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، مصر، (د ط)، 1994م.

05- إعجاز رسم القرآن وإعجاز التّلاوة، شملول محمّد، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، القاهرة، مصر ط1، 1427هـ، 2006م.

06- إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الربّاني، الخالدي صلاح عبد الفتّاح، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط1 1421هـ، 2000م.

07- الإعجاز القرآني في الرّسم العثماني، شعير عبد المنعم، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، (د ط)، (د تا).

08- البرهان في علوم القرآن، الزّركشي- بدر الدّين، تحقيق: المرعشلي يوسف وآخرين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1 1410ه، 1990م.
09- تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، الكردي محمّد طاهر، مطبعة الفتح، جدّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، (د ط) 1365ه، 1944م.
10- تجلّيات الدّلالة الإيحائيّة في الخطاب القرآني في ضوء اللّسانيات المعاصرة سورة التّوبة أنوذجا، فخرية غريب قادر عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1 1432ه، 2011م.
11- التّشكيل الصّوتي في اللّغة العربيّة فونولوجيا العربية، العاني سلمان حسن، ترجمة: ياسر الملاح، النّادي الأدبي الثّقافي، جدّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط 1، 1403ه ، 1983م.
12- التّعبير القرآني، السّامرّائي فاضل صالح، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط4، 1427ه، 2006م.
13- الجلال والجمال في رسم الكلمة في القرآن الكريم، القليني سامح، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1429ه 2008م.
14- دراسات في علوم القرآن الكريم، الرّومي فهد، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرّياض، السّعوديّة، ط14، 1426ه 2005م.
15- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، السّمين الحلبي أحمد بن يوسف، تحقيق: أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم دمشق، سورية، (د ط)، (د تا).
16- الدرّة الصّقيلة في شرح أبيات العقيلة، اللّبيب أبي بكر عبد الغنيّ، تحقيق: عبد العلي زعبول، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، قطر، ط1، 1432ه، 2011م.
17- رسم المصحف دراسة لغويّة تاريخيّة، غانم قدّوري الحمد، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط2، (د تا).
18- رسم المصحف و ضبطه بين التّوقيف والاصطلاحات الحديثة، شعبان محمّد إسماعيل، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، القاهرة، مصر، ط2، 1422ه، 2001م.
19- رسم المصحف ونقطه، الفرماوي عبد الحي حسين، المكتبة المكيّة، مكّة المكرّمة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1 1425ه، 2004م.
20- ظواهر أسلوبيّة في القرآن الكريم (التّركيب و الرّسم و الإيقاع)، عتيق عمر عبد الهادي، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، ط1، 1431ه، 2010م.
21- عنوان الدّليل من مرسوم خطّ التّنزيل، المراكشي أبو العبّاس أحمد بن البناء، تحقيق: شلبي هند، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
22- فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير، الشّوكاني محمّد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4 1428ه، 2007م.

23- في الأصوات اللّغويّة دراسة في أصوات المدّ العربيّة، المطلبي غالب فاضل، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام، دار الحريّة للطّباعة، الجمهوريّة العراقيّة، (د ط)، 1984م.
24- الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، الزّمخشري محمود، تحقيق: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1418ه، 1998م.
25- لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1419ه، 1999م.
26- المحكم في نقط المصاحف، الدّاني أبي عمرو، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر للطّباعة والتّوزيع والنّشر، دمشق سورية، ط2، 1418ه، 1997م.
27- معاني القرآن، الفرّاء أبي زكريا، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403ه، 1983م.
28- المقنع في رسم مصاحف الأمصار، الدّاني أبي عمرو، تحقيق: محمّد الصّادق قمحاوي، مكتبة الكليّات الأزهريّة القاهرة، مصر، (د ط) ، 1978م.
29- مناهل العرفان في علوم القرآن، الزّرقاني محمّد عبد العظيم، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1415ه، 1995م.

المجلاّت والدّوريات:

- خصوصيات الرّسم العثماني للمصحف الشّريف (مقال مسلسل)، المطعني عبد العظيم، مجلّة منبر الإسلام، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، القاهرة، مصر.
30- العدد 7، رجب 1422ه.
31- العدد 651، ربيع الأوّل 1422ه.
32- العدد 653، جمادى الأوّل 1422ه.
33- العدد 654، جمادى الثّانية 1422ه.